

الشاعر راشد حسين

نبذة

- ولد راشد حسين في قرية مصمص من قرى أم الفحم سنة ١٩٣٦، وانتقل مع عائلته إلى حيفا سنة ١٩٤٤، ورحل مع عائلته عن حيفا بسبب الحرب عام ١٩٤٨ وعاد ليستقر في قرية مصمص مسقط رأسه .

- واصل تعليمه في مدرسة أم الفحم، ثم أنهى تعليمه الثانوي في ثانوية الناصرة .

- بعد تخرجه عمل معلماً لمدة ثلاث سنوات ثم فصل من عمله بسبب نشاطه السياسي .

- عمل محرراً لمجلة "الفجر"، "المرصاد" و"المصور"، وكان نشطاً في صفوف حزب العمال الموحد .

- ترك البلاد عام ١٩٦٧ إلى الولايات المتحدة حيث عمل في مكتبة منظمة التحرير هناك، وسافر إلى دمشق عام ١٩٧١ للمشاركة في تأسيس مؤسسة الدراسات الفلسطينية، كما عمل فترة من الزمن في القسم العبري من الإذاعة السورية .

- عاد إلى نيويورك عام ١٩٧٣ حيث عمل مراسلاً لوكالة الأنباء الفلسطينية " وفا " .

- توفي في الأول من شهر شباط عام ١٩٧٧ في حادث مؤسف على أثر حريق شبّ في بيته بنيويورك، وقد أعيد جثمانه إلى مسقط رأسه في قرية مصمص حيث ووري هناك .

- منح اسمه وسام القدس للثقافة والفنون في عام ١٩٩٠ .

أعماله الشعرية :

مع الفجر (مطبعة الحكيم، الناصرة، ١٩٥٧م، ط٢: القاهرة، ١٩٥٧م).

صواريخ (مطبعة الحكيم، الناصرة، ١٩٥٨م).

أنا الأرض لا تحرميني المطر (الاتحاد العام للكتاب الفلسطينيين، بيروت، ١٩٧٦م).

كتاب الشعر الثاني / يضم المجموعتين الأولى والثانية (لجنة إحياء تراث راشد حسين) دار القبس العربية، عكا، ١٩٧٨م).

قصائد فلسطينية (لجنة إحياء تراث راشد حسين، القاهرة).

ديوان راشد حسين / الأعمال الشعرية الكاملة (بيروت).

الترجمات :

- حاييم نعمان بياليك: نخبة من شعره ونثره / ترجمة عن العبرية (دار دفير للنشر، تل أبيب، ١٩٦٦م).

- النخيل والتمر؛ مجموعة من الأغاني الشعبية العربية، ترجمها بالتعاون مع شاعر يهودي من العربية إلى العبرية.

- العرب في إسرائيل: تأليف صبري جريس / جزءان، ترجمة الشاعر من العبرية إلى العربية (مركز الأبحاث، بيروت ١٩٦٧م).

البداية

السخرية والمرارة في شعر راشد حسين

الثلاثاء ٢٦ نيسان (أبريل) ٢٠٠٥
بقلم الدكتور فاروق مواسي

لا شك في أن الأدب العربي عرف أعلاماً كانت روح السخرية بادية في أدبهم، فمن القدماء كان الجاحظ وابن الرومي..... ومن المحدثين: المازني والحكيم ومارون عبود والشدياق وأسعد رستم وعرار.....

أما الأدب الساخر في شعرنا الفلسطيني فقد أرسى قواعده راشد حسين، فهو يجذب انتباهنا في ديوانيه الأولين (مع الفجر) و (صواريخ) بهذه الخطرات أو الومضات التي تشع بألمه، وتتوهج بمأساته. وها هو يخاطب ابن عمه في الأردن:

القرية العزلاء يا ابن العم تفرئك السلام

وبيوتها الوسنى تحيي بنت عمته الخيام

فتحية القرية (العزلاء) و (الوسنى) عرضها راشد بنوع من الحيادية المتألّمة، كما توحى (بنت عمته) بجو السخرية الذي كان قد عمد إليه المتنبي - حين وصف بدر بن عمار وهو يصرع الأسد:

سمع ابن عمته به وبحاله
فنجأ يهرول منك أمس مهولا

وإهداء السلام كان طريقة شائعة جداً قبل حرب حزيران، ولذا يركز عليه الشاعر مرة أخرى، فالشاب الجريح يكتب رسالة ساخرة من الميدان يقول فيها:

والأذرع المتناثرات هنا هنالك في الطريق

والليل والموتى وأفواه الخنادق والحريق

يهدينكم حلو التهاني والتحية والسلام

فانظر إلى كلمة (حلو) في البيت الأخير تجد أن الشاعر هنا يتدخل ليركز على صورة الألم فأشبعها بمعنى مناقض تماماً:

إن الشاعر يختار مواقع المأساة كالخيام السود ، حيث اللاجئين يعيشون في المهجر والغربة:

لن تصير الخيمة السوداء في المهجر قصراً
وصديد الجرح والإعياء لن يصبح عطراً
وجيوش القمل لن تصبح أغناماً فتقرى
ودموع اليتيم لن تصبح للأيتام خمراً
وثمة فتاة بين الخيام ماتت ولم يسعفوها:
دفنوها في ظلام الليل سرّاً دفنوها
لينالوا مؤن الطفلة من قوت جهنم
والأنكى أنهم يطالبون هذا اللاجئ أن يقعد ويسكن:
ومضوا عنه وقالوا:
عش سعيداً في جهنم

فالشاعر نقل صورة من حياة اللاجئين الذين يتقبلون الإهانات والإهانات ، وأنت عندما تقرأ أن جيوش القمل لن تصبح أغناماً تعرف أن هذه بديهية، ولكن سرعان ما تخطر على بالك صور تدعوك لتعمق المأساة واستغوارها:

.... هل فمنا يبدو اذا جعنا مخيف
ليفر الخبز من رؤيتنا
أم على أفواهنا خطوا حذار اللاجئين

ثم تسأل هذه الطفلة أبعد من ذلك:

فلماذا يقلق البدر وصحبه
أتراهم جوعوا؟

وبالمقابل فالشيخ ساهر مع خيالات الشقاء، وعندما يؤذن المؤذن ويقول:

(حي على الفلاح) يرد الشيخ ميؤوساً:

لقد ضحك الفلاح على الصلاح

من خلال هذه اللقطات التي أوردناها نقل لنا الشاعر صوراً من مآسي اللاجئين، وقد جسّم هذه الصور بشكل ساخر ومرير. أما الطرف الآخر وهو الجندي فسينال الأوسمة. ولكن على أي فضل؟ لنُدع الجندي يتحدث:

وننال أوسمة
على تيتيم أطفال الأنام

والجندي هذا يطلب في رسالة لأبيه أن يخبر زوجته:

قولوا لها إني بخير تحت أغطية رقيقه
سأظل أنشدها وأكسب يا أبي ثمن الطعام

فمثل هذه الصورة التي يوسع فيها راشد تدلنا على كراهية الحرب في نفس الشاعر. هو
يقرع ناقوساً ويحذر من المصير المفجع.

ومثل هذا الجندي جندي آخر تقترب منه دودة مترددة ، فيخاطبها قائلاً:

يا جارتاه ستتحنين على فم
ما قبلته سوى معطرة الفم
قلبي عشاؤك فانهمي وتنعمي
فلأنت أولى من لهيب جهنم

وإذا سخر الشاعر من أمثال هذين الجنديين ، ومن المصير ، فإنه لا يغفل المتواطئين من
بني جلدته ، فيشفي غليله منهم :

إذا مستعمر طلب المطايا
أناخوا فالظهور لها رحاب
وإن عز الركاب أطل تاج
يقول: أنا لسيدي الركاب

وقد تبدو هذه الصورة الساخرة حادة ، لكنها لا تقتصر على هؤلاء كما نقم السياب من
(المخبر) ، بل إنه يرى أن الناس كلهم هم رقيق ، لأنهم يتشاغلون عن القضية ، ثم لا يلبث
أن يتشاءم من سكان الأرض قاطبة، فقد أعلن عن مزاد لتصدير الأباليس الرجيمة إلى
السماء:

وستشتري بعض الملائكة الكبار الأتقياء

ثم تقدم مسرحية الشقاء لسكان السماء ، حيث رايات الإخاء ، وها هم يرقصون على
وصايا الأنبياء ، وينتشر النفاق والرياء ... فالسر هو أساس يعمر به الكون؛ وعندما زال
الشر لم يجد السجان له عملاً ، ولم يجد الكاهن من يصغي له ، وأقل الخمر حانتته
وتوصل الشاعر إلى القول:

لو لم يكن إبليس في أرضنا
لم يدر بعض الناس ما يأكلون

أما العرب الذين بقوا في الأرض مع راشد فقد نقل لنا الشاعر صوراً مما عايناه:

فأطفال صندلة الذين قُتلوا يثيرون مشاعره ، فيقول قصيدته التي أشهرته – حسب رأيي –
وهو يخاطب مرج ابن عامر، ومجرد خطابه للسهل الذي يحمل اسماً كأسماء الأعلام
يوجي بأكثر من معنى، وها هو يسأله في تجاهل العارف:

مرج ابن عامر هل لديك سنابل ؟
أم فيك من زرع الحروب قنابل ؟

أم حينما عز النبات صنعت من
لحم الطفولة غلة تتمايل ؟
أحسبت أقلام الرصاص بنادقًا
وبأن صبيتنا الصغار جحافل ؟
أم أن أوراق الدروس وثائق
أم في الحقائق عدة وحبائل؟

ومثل هذه الصور وهذه التساؤلات تجسم المأساة ، وتشيع المرارة ، وتدع الشاعر يتخلص
من سؤرة هزئه إلى حميًا غضبه:

قالوا القنابل عبقرى صاغها
صدقوا.. ولكن عبقرى سافل

ويطالب الشاعر في أكثر من موقف أن نتساوى بسوانا ، فعن أخيه فتحي يقول:

وعروقه كعروقكم دماء لا عصير

وجملة (لا عصير) فيها وخز لمن يظن أنه من دماء لا تقع تحت تصنيف الدماء المعهودة
طبيًا. وعندما يسأل أحدهم: لماذا لا تكتب عن الموشاب والكيوتس ؟ يتعرض له راشد
شارحًا عن نظام التصاريح الذي عانى منه طويلاً وحال دون تحقيق ذلك:

هل يمدح الأزهار من لم يدخل البستان؟

وتتمثل روح السخرية أيضًا في جو قرينته ، حيث يحصل الأعمى (أبو رباب) على إنذار
من ضريبة الدخل ، فهذا النظام لا يرعوي عن مطاردة حتى ضرير على لقمة عيشه:

ولربما طعن التفاؤل خنجر مر الحساب
انذار دائرة الضرائب للضرير (أبي رباب)

روح السخرية في غزلياته:

لعل العبث النابع من خفة ظل عند الشاعر نجده في كل قصيدة غزل، فعندما يطلب من قلبه
أن يصوم عن هواها يجيبه القلب:

وكيف يصوم فؤاد فتى
وما أطعموه وما سحروا
إذا كان لا بد من أن أصوم
فإني على قبلة أفطر

وهذه الفتاة التي يرى المقدسات على صدرها يطالبها بلقطة ذكية أن ترحل معه:

وأن المسجد الأقصى أقيم على ربي صدرك فما لعجبية الإسراء لا تأتي على فكرك ؟

والشاعر يخاف على خازن جهنم- مالك- من مكر النساء:

وأخاف ألا يوقد النيران يا ربي لهنه
فاجعله يا رباه امرأة لتأمن مكرهه

فاستعمال الكلمات المقدسة والأجواء الدينية في معرض الحديث عن المرأة يحمل في
جوانبه سخريّة طريفة وعندما تسأله إحداهن أ شاعر؟ يقول لها:

.....خليه في سرحاته
لو كان جدي في الحياة سألته
أحب جدتها قبيل وفاته؟

ثم يستطرد في وصف الجو حتى يخلق لنا نوعاً من المفارقة:

أشعار قيس أصبحت قرآنه
فتلا لها تسعين من آياته
ورمى العمامة جانباً متبرماً
وأحل قبعة على شعراته

ثم يتدخل الشاعر ويخلص الحبيبة من بين يدي الجد المتهالك العاشق ... ويقول لنا:

لولا هربت لزجني في سجنه
ولضم صاحبتني إلى زوجاته

ولا نلومن الشاعر على هذا الحب الذي أخذ منه:

قل لهذا القلب يصبح حجرا
ثم لمني إن أنا أحببته

ولا شك أن صوراً أخرى كثيرة فيها تتردد وفيها نوع من الدعابة كقوله:

إنه معلم أربعين ثرثرة ، أو إنها نهبت ما ربحه من المطبعة ، أو يهزأ بها لأنها تسأله عن
رقم صندوق البريد في القرية.....

الانفعال عند راشد حسين:

لعل الانفعال أيضاً ظاهرة من ظواهر البساطة يقولها كأنها مسبة ، وهو بهذه الشتيمة ينال
من الطغاة أكثر من مرة:

وهوى الطغاة أذلة فأعزهم
كلب وأكبرهم حمار ينهق

وتتكرر أكثر في ديوانه الثاني على غرار:

وتراجع الطاغى فخير رجاله
جرو ينوح وتعلب يصطاد

ومثل هذا الشعر يذكرنا بهجاء المتنبي لابن كيغلغ:

وإذا أشار محدثًا فكأنه
قرد يقهقه أو عجوز تلطم

ويمتزج الانفعال بالسخرية لدى راشد:

أضناكم داء السيادة فانتنت
لتعالج السقماء يا (أسياد)
جنتم إليها زائرين وقلتم
لا ترهبونا إننا (رواد)
يا أحق الرواد حان رحيلكم
فمع السلامة أيها (الرواد)

ففي قوله " مع السلامة " طرد ، وفي تكرار " أيها الرواد " سخرية لاذعة، بالإضافة إلى وضع الكلمات بين أقواس ، فهذا من شأنه أن يلفت نظرنا إلى التهكم الذي عمد إليه.

المفارقة والصورة:

ألمحنا سابقًا إلى عامل المفارقة بأنه من أبرز دواعي السخرية عند الشاعر ، وتمثل أحيانًا بصورة قريبة إلى الكاريكاتير يرسمها الشاعر... يقول الشاعر على لسان وزير:

وأنا الوزير
لما انحنى البواب مرتعش الفؤاد لمقدمي
صافحته وكأنني البواب وهو (معلمي)

وأنا يطل علينا بصورة أخرى صوتية لا نملك إلا إن نتخيلها.... فالعم سلامة:

الراء نون عنده رغم الخليل وسيبويه

وسرد القصة الساخرة لا يقف أحيانًا عند لقطة أو ومضة ، بل يتعدى ذلك إلى القصيدة كلها - كما في (من شاب جريح إلى والده) و (قاضي الهوى) و (لغة الأفيون) ، وفي هذه القصيدة الأخيرة يخاطب الشاعر الفلاح الذي خُدع ثم صحا:

قالوا لك الحقل المبارك والمزارع الغدير
ولك الزهور الحالمات وما ملكن من العبير
ولك اخضرار التين والزيتون والأمل الوفير
ولك الحسان الحور في يوم القيامة والحريير
أنت الشجاعة والقناعة.....أنت إنسان قدير
اصبر فرزقك في السماء وفي السما رزق كثير

وعلى هذا النسق يستمر الشاعر في السخرية من هؤلاء الإقطاعيين الذين يزينون الحياة للفلاح.

مما تقدم نرى أن الشاعر يستعمل السخرية ، وقديماً قيل (شر البلية ما يضحك) - يستعملها تنفيساً وتعبيراً عن مرارته. وتبرز هذه السخرية في المفارقات - أي بإظهار الصورة وعكسها ، ويطيل الصورة أحياناً حتى ليكاد يقنعنا بأنه جاد في وصفه.

إن الشاعر في وطنياته يخز ، وفي غزلياته يعبث ، وفي كلتيهما هو ماكر . أما في أدائه فهو يشبع الكلمة دلالة شعبية وصورة ذكية.

البداية

ضد

ضد أن يجرح ثوار بلادي سنبله

ضد أن تدرس أختي عضلات البندقية

ما الذي يصنعه حتى نبي أو نبية

خيول القتلة

ضد أن يثمر ألغاما فؤاد الشجرة

ضد تحويل حياض الورد في أرضي

ضد ما شنتم... ولكن

ورفاقي

ضد أن يثمر ألغاما فؤاد الشجرة

ضد أن تصبح أغصان بساتيني مشانق

ضد تحويل حياض الورد في أرضي

مشانق

ضد ما شنتم... ولكن

بعد إحراق بلادي

ورفاقي

وشبابي

البداية

رسالة من المدينة

وأذكرُ أنّك كُنْتَ طرِيَّةً
وشاحاً على دَرَبِ رِيحِ شَقِيَّةِ
تَلْمِيْنِ مِعْطَفِكِ الْفَسْتَقِي
على كَنْزِ قَامَتِكَ الْفَسْتَقِيَّةِ
وقلتُ أنا : مرحباً .. فالتفتتُ
وأمرتُ ثَلْجاً وناراً عَلَيَّ
وكانتُ رموشُ النجومِ بعيداً
تُحاولُ جَرْحَ الغيومِ العتيةِ
وكنتُ بحرْبَةٍ رَمْسٍ طرِيٍّ
تُرِيدُ جَرْحَ معاني التحيةِ
وَسِرَّتِ بَعِيداً ورأسكِ نَحْوِي
وفي النظراتِ معانٍ سخيةِ
وشوقٍ بعينيكِ أنْ ترجعي
كأشواقِ لاجئَةٍ يَأْفُوِيَّةِ
وأعلمُ أن الهوى هبَّ صدفةِ
كهبةِ رِيحِ على بابِ غرفةِ
وأن الشبابِ بغيرِ غرامِ
كدارِ من الماسِ من غيرِ شرفةِ
فليتكِ تدرينِ معنى الربيعِ
يُجدُّ زهراً ليكرمِ صيفه
ومعنى أصابعِ رمانَةٍ
ترفُّ على البرعمِ الطفلِ رفةِ

ومعنى السحاب يريق دماه
فيسقي الزهورَ ويصنع حتفه
لأدركتِ معنى وقوفي الطويل
على باب دارك أول وقفة
وخلفتُ ريفي الذي تكرهين
لأغرق نفسي بليل المدينة
هناك وجدتُ وحولَ الشتاءِ
على صدرها طينة فوق طينة
وينهبُ مَنْ شاءَ ألوانها
كنهبِ الخريفِ ستائرَ تينة
تعرَّتْ كماسورةٍ من رُجاج
فألقيتُ فيها مُنَايَ الثمينة
وكنتِ بمعطفكِ الفستقي
تسيرين عبرَ خيالي حزينة
قِطَاراً من العطرِ ماضٍ يقولُ:
هَبُونِي مَحَطَّةَ قَلْبِ أَمِينَةٍ
فَأَسْأَلُ قَلْبِي : أَلَسْتَ أَمِيناً
فِيهِتَفُ : دَاسَتْ عَلَيَّ الْمَدِينَةُ
هنا في المدينة تَمْشِي النَّعَالُ
على كلماتي .. على قِصَّتِي
هنا الكلماتُ بغيرِ معانٍ
توَابَيْتُ مَوْحُولَةَ الْجِبْهَةِ
وفي كلِّ زاويةٍ أَلْفُ حُبِّ
رَخِيصِ كحاضريِ الْمَيْتِ

لِمَاذَا جَنَيْتِ عَلَيَّ لِمَاذَا
رَمَيْتِ إِلَى وَحْلِهَا مُهْجَتِي
سَمِمْتُ الْمَدِينَةَ .. قَلْبِي يَمُوتُ
سَاتِي إِلَيْكَ .. إِلَى قَرِيَّتِي
أَعْلَقُ قَلْبِي عَلَى لَوْزَةٍ
فَوَأْنِسْنَهَا حُرَّةَ الْمَنْبَتِ
أَنَا عَائِدٌ هَلْ تُرَى تَذَكِّرِينَ
فَتَدْرِينَ مَا السَّرُّ فِي عَوْدَتِي

البداية

عكا والبحر

الى الاصدقاء الذين عرفتهم عكا
حلم الرعاة ورقصة الريحان و الارض الندية
وسنابل القمح الخجولة في ملاءتها البهية
ورحيق ازهاري، واحلام الشباب العسجدية
هي كل ما عندي ... فهل ترضى بها عكا هدية
يا حلوة البسمات يا عكا ! رو يدك يا طهورة !
البحر قبل راحتك ، و جاء يسألك المشورة
فهو الأمير أتاك يخطب ود قلبك يا اميرة
رفقا به و بقلبه ! لا تجرحي أبدا شعوره !
أرأيت سورك هازنا بالبحر لم يأبه لحبه
حتى خرجت اليه أنت لتسمعي خلجات قلبه
أم قد رفضت رجاءه ، فخرجت نائرة لحربه
فبنيت أبياتا على كبد الرمال لقطع دربه؟

اني لأخشى ان رفضت مشاعر البحر النبيلة
ان ينثني كبرا ويخطب قلب جارتك الجميلة
وجمال حيفا ان تكن نقضته نسبتك الاصيله
فثراؤها نسب يشرفها ، ويكرمها فضيلة
العفو يا عكا فما قولي سوى خطرات شاعر
ما كنت سمسارا لحب البحر ماجور المشاعر
فتقبلي من قرיתי العزلاء رائحة الأزاهر
ووداعة الأطفال طاهرة ، و أغنية البيادر

البداية

بالأغاني

بالأغاني حرّروني.. بالأغاني

رسموني بدمي القاني، على كلّ المباني

كتبوني.. لخصوني

وأذاعوا كلّ عمري وبلادي

في ثوان

ثم... لما اعتقلوني،

بالأغاني اعتقلوني ...

بالأغاني

كيف أصبحتُ أغاني

كيف أصبحت شعاراتٍ على كلّ المباني

كيف أصبحتُ عناوين جرائدٍ

كيف أصبحتُ احتفالاتٍ على كلّ الموائد

كيف صاروا سُفناً خاننة

وأنا صرتُ مواني
كيف أصبحتُ أغاني
بالأغاني حرّروني
بالأغاني اعتقلوني
بالأغاني
قائلُ الشعرِ مُغامرُ
وأنا شِعْرُ
وكلّ الناسِ في عَيْنِي شاعرُ
جَرِّبُوا أَنْ تَقْتُلُونِي
أبداً لَنْ تَجِدُونِي
بأغاني، أنا أقتلُ عرشاً
وعلى ذوقي أنا، تمشي الأغاني
فلتكنْ حربُ أغاني
بالأغاني/... سوفَ أعتالُ أغانيكم
جميعَ الكذبِ فيكم
بالأغان